[مدخل] لأننا نسينا الله !!

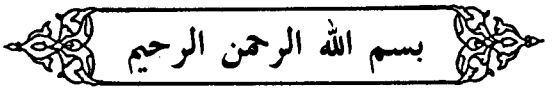

الحمد لله الذى أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضى لنا الإسلام ديناً ، والصلاة والسلام على صفوة خلقه ، وإمام رسله ، وخاتم أنبيائه مولانا : «محمد بن عبد الله» بعثه الله رحمة إلى العالمين ، وهادياً للناس أجمعين ، وأيده بالقرآن الكريم ليكون دليلاً على صدقه ، وأنه مرسل من قبل ربه رب العرش المجيد ، ليكون منهج رسالته ، ودستور دعوته ، فأنار به سبيل الرشاد ، وطمس به معالم الضلال ، وكون بتعاليمه الرشيدة ، وآدابه السامية ، وأصوله الحكيمة ، وحدوده الزاجرة ، خير أمة أخرجت للناس : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾ [المائدة/١٥ ، ١٦] .

و ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

أما بعد

فإن محنة الأقليات الإسلامية أو هؤلاء المسلمين المنسيين فى عالمنا المعاصر ، حقيقة واقعة ، لا جدال فيها ، ولا سبيل إلى تجاهلها مهما كانت الظروف التى يمر بها عالمنا المسلم ، وفى حالة تجاهلها نكون مثل النعام الذى يواجه الحقائق الواقعة بدفن رؤوسه فى الرمال ، أما إذا كنا نجهل هؤلاء الإخوة فتكون المصيبة أجل وأعظم ، فلا نكون كمسلمين جديرين بالحياة .

وأقول محنة (المسلمين) المنسيين ، لا محنة الأقليات المسلمة أو قضية الأقليات المسلمة لماذا ؟؟ لأن هناك فرقاً بين لفظى محنة وقضية .

القضية تعنى أمراً قائماً متحركاً ، يعيش داخل الناس ، داخل ذواتهم ، أو

على الأقل فى وجداناتهم وأحاسيسهم ، ولكن المحنة وإن كانت هى كذلك فهى أمراً قائماً ، إلا أنه لا يشترط أن يكون هذا الأمر متحركاً ، يمتزج بأحاسيس الناس ، ويجد طريقه إلى المشاركة الوجدانية الفاعلة .

وقد لا يكون هذا الحكم على إطلاقه ، بالنسبة لمحنة الأقليات المسلمة فى عالمنا المعاصر ، لأن بعضاً من هذه الأقليات يتحرك على مستوى إقليمى ، ومستوى عالمى محدود ، ولكن الذى أقصده هنا من منطلق المفهوم الإسلامى ، الذى يدعو بنص الحديث النبوى الشريف ـ إلى أن يكون المؤمنون فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا شكا منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهرِ والحمى ، الذى أعنيه هنا أن محنة الأقليات المسلمة فى عالمنا المعاصر ، لم تتحول بعد إلى قضية تشغل أذهان الأمة المسلمة ككل .. المفروض أن تتوافر لها الوحدة العضوية فى المشاركة الوجدانية ، والوحدة الموضوعية فى قضاياها .

ويتوارد إلى الذهن سؤال : ما الذى أدى بالأمة المسلمة إلى ذلك ، وهل ذلك مصير الأمة التى أرادها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس ؟ !

أقول : إن هذه الأمة المسلمة المعاصرة ليست هى الأمة المسلمة التى أرادها رب العرش العظيم ، خير أمة أخرجت للناس ، إنها اليوم ـ للأسف ـ شكل بلا حقيقة ، وعرض بلا جوهر حقيقى ، مجرد لفظ بلا مدلول ، أو اسم بلا مسمى ، أو رسم بلا مفهوم ..

إن علة العلل هى أن أمتنا المسلمة المعاصرة قد فرطت فى جنب الله ، فرفع الله يده عنها ، لقد نسينا الله فنسانا .

لقد قامت الدولة الإسلامية الأولى ، وعاشت عصرها الذهبى ، لأنها من منطلق إيمانها الصادق بالله عز وجل ، احتفظت بوحدة المشاعر والأحاسيس

بين أعضائها ، الذين كانوا على قلب رجل واحد ، كانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.. لا جدال أن المسلمين المنسيين ومحنتهم هى إنعكاس واضح لما تعانيه الأمة الإسلامية من الضياع واللامبالاة بكل شيء ، بسبب فقداننا للمشاعر والأحاسيس فضلاً عن الفقدان التام والكامل للوحدة والتعاون والتضامن .

إن البعض يحلو له أن يحمل الإستعمار كل الوزر ، ولكننا نتعمد أن لا نسأل أنفسنا : ماذا فعلت الأمة المسلمة بعد أن حمل المستعمر عصاه ورحل ، منذ ربع قرن أو أكثر ؟ ! كذلك يحلو لنا أن نلقى اللوم كل اللوم على تقصير الأنظمة ، التى لا تهتم قليلاً أو كثيراً بمحنة إخوتنا فى الدين ، وننسى دور الشعوب وقادة الرأى فيها ، فإن كانت الأنظمة غارقة حتى النخاع فى مشاكلها ، وفى العمل بكل الوسائل على أن تظل فى الحكم ، فأين الشعوب المسلمة؟ أين قادة الرأى، والمفكرين والعلماء؟ إن المأساة لا تخطر لهم على بال .

لقد اتصلت بواحدٍ من الأساتذة المقررين علينا فى الإذاعة المرئية ليل نهار ، اتصلت به لعلى أستفيد من خبرته فى المزيد من المعلومات عن إخواننا الذين نسيناهم ، لقد قال لى كلاماً إنشائياً سطحياً عرفت منه أن الرجل لا يعرف أى شيء ، لقد تألمت لذلك ولكن ما باليد حيلة .

ودارت فى نفسى الأسئلة :

● كم فى المائة من تعداد الشعوب المسلمة يعرفون شيئاً عن محنة الأقليات المسلمة المنسية ؟ !

● كم فى المائة ممن يعرفون شيئاً ولو هامشياً عن محنة الأقليات المسلمة المنسية ، وفى نفس الوقت يحسون بها ، إحساساً إيجابياً ؟ !

● كم فى المائة ممن يحسون بها ، عملوا شيئاً له قيمة من أجلهم ، هؤلاء الذين يتعرضون فى كل لحظة للهجمات الصليبية التبشيرية ، والإستعمار ، والشيوعية ، والبوذية الكافرة ؟

لن أجيب عن هذه الأسئلة ، لأن الإجابة غير سارة بالمرة ، ولأن الخاص والعام على كل دراية كاملة بها ، ولكننا ندمن الهروب جاعلين النعام مثلنا الأعلى ، فنخفى رؤوسنا فى الرمال أو التراب وأحياناً فى الوحل .

إن الهدف من هذا الكتاب المتواضع جداً ، ليس مجرد كلام يوزع المسئولية على المسئولين عن هذه المحنة ، محنة أهلنا من المسلمين المنسيين !! ولكن الكتاب محاولة متواضعة لأن نقف معاً على حقيقة المحنة ذاتها ، وما يجب على الأمة الإسلامية أنظمة وشعوباً ومؤسسات أن تفعله إزاء هذه الكارثة التى تمثل فى تاريخنا المعاصر صفحات قلقة .

والله يهدينا جميعاً إلى مافيه الخير للإسلام والمسلمين والله ولى التوفيق

يسرى عبد الغنى

شعبان سنة ١٤٠٩ هـ
القاهرة فى : مارس سنة ١٩٨٩م